عن اخلاصها لله تعالى فان من اخلص في العمل اسره او عن جعلها خالصة صافية من شوب صنه بناء على ان الاخفاء
من لوازم كون الشيء صافيا هذا على تقدير ان يكون الاسرار بمعنى الاخفاء وهو المشهور في اللغة واشهر الاضداد استعمل
بمعنى الاظهار ايضا على معنى انه ليس هناك قوة اخفاء فاظهروها لصعقهم وفي الكشاف اسر الشيء واسره اذا اظهره قوله
والكلام مجاراة للمشركين على الشرك قال الا انما قضي بينهم قيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل
بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل ان الكفار وان اشتركوا في العذاب فانه لا بد وان يقضي الله بينهم لانه لا
يمتنع ان قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وخانه فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب
الباقين لان العدل يقتضي ان ينتصف للمظلومين ولا سبيل اليه الا بان يخفف من عذاب المظلومين
ويثقل في عذاب الظالمين ثم انه تعالى لما اوعد الظالمين بقوله ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت
به قرر قدرته على الاثابة والعقاب بقوله الا ان لله ما في السموات والارض وقيل انه تعالى لما قال ان الظالم
لو ملك خزائن الارض واموالها لافتدت به بين في هذه الاية ان الظالم ليس له شيء يفتدي به فان الا
باسرها ملك خالص لله تعالى لا ينصرف فيها غيره قال تعالى وكلهم اتيه يوم القيمة فردا ثم ان الا في قوله تعالى
الا ان لله ما في السموات والارض دقيقة اخرى وهي ان كلمة الا انما تذكر لتنبيه الغافلين واهل هذا العالم
مشغولون بالنظر الى الاسباب الظاهرة فيضيفون الاشياء الى ملاكها الظاهرة المجازية فيقولون الدار لزيد
والعبد لعمرو والسلطنة للخليفة والتصرف للوزير ونحو ذلك فكانوا مستغرقين في نوم الجهل والغفلة حيث
يظنون صحة تلك الاضافات فقد لكي يحيي هؤلاء النائمين بقوله الا ان لله ما في السموات والارض لانه قد ثبت ان
جميع ما سواه ممكن لذاته وان الممكن لذاته مستند الى الواجب لذاته اما ابتداء او بواسطة فثبت ان جميع ما سواه
مملوك لله تعالى ثم انه تعالى لما قال ان القران من رب العالمين وما كان افتراء من دونه تعالى واثبت رسالته صلعم
بقوله فأتوا بسورة مثله وصف القران هنا باوصاف اربع وهي كونه موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للعالمين والعطف المعتبر في هذه الاية من قبيل عطف الصفات المتغايرة بعضها على بعض مع اتحاد الذات واشار المص بقوله
قد جاءتكم كتاب جامع الخ والموعظة مصدر بمعنى الوعظ وهو ارشاد المكلف بما ينفعه من محاسن الاعمال وينهاه
عن القبائح والترغيب في المحاسن والزجر عن القبائح والعلم الكافل لهذا الشان هو الحكمة العملية المتعلقة بكيفية العمل
وكذا الشفاء والهدى والرحمة فانها اسماء مصادر ووصف بها القران للمبالغة ووصف القران بكونه موعظة لاشتماله على الحكمة العملية
التي هي الموعظة وكونه شفاء لاشتماله على الحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الامراض القلبية قوله بانزال القران
اشارة الى ان فضل الله ورحمته عبارة عن انزال القران هذه الاية متصلة بالاية الاولى وهي قوله تعالى قد جاءتكم وصفه الله تعالى بالرحمة في الاية
الاولى وفي اية اخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته الى ان قال ذلك فضل الله تعالى
قيل يا محمد لهؤلاء الذين همتهم جمع الاموال والتزين بزخارف الدنيا بفضل الله وبرحمته افرحوا لا بالاموال
ولا بالحظوظ الفانية السريعة الزوال وروي عنه عم قال بفضل الله وبرحمته اي بكتاب الله والاسلام قوله

قوله والباء متعلقة بفعل يفسره فليفرحوا يعني ان قوله تعالى بفضل الله وبرحمته الباء فيه متعلق
ومتعلقه ليس فليفرحوا المذكور لانه متعلق بقوله فبذلك فلا بد من ان يتعلق بمقدر والمقدر لا بد له من قرينة
يدل عليه ولا قرينة سوى الفعل المذكور بعد قوله فبذلك وذلك الفعل وان كان متعلقا بالجار الذي هو اسم الاشارة
لما كان بمنزلة الضمير كان بمنزلة ان يقال فيهما فليفرحوا فظهر بهذا ان المذكور قرينة للمحذوف وكون المذكور مفسرا
لكون المقدر فليفرحوا ظاهر واما كونه مفسرا لمقدر فليعتنوا فلان الفرح بالشيء انما يكون بالاعتناء
بشانه مع انه له قرينة اخرى وهي ان قوله تعالى فبذلك اشارة الى فضل الله ورحمته واشير به الى اثنين لاتحادهما
بالذات او لان ذلك يشار به الى اثنين فصاعدا كقوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وتقديم فبذلك عليه
يدل على الاعتناء بشانهما وتكرار الامر لتخصيص الفرح بالفضل والرحمة يفيد التاكيد لا محالة ثم ان العامل اجمل
فيما ذكر اولا وبين ثانيا ولا شك ان تبيين الشيء بعد اجماله اوقع في النفس وادخل في التقرير فكرر الامر بتخصيص الفرح
بالفضل والرحمة يفيد التاكيد لا محالة وايضا التكرير على الوجه الخاص وهو تكرير بتقديم المعمول على
العامل يفيد ايجاب الاختصاص وتحقيقه وذلك لان التقديم في المرة الاولى يفيد الاختصاص
فلما تكرر افاد ايجاب الاختصاص وتقريره وفي قوله وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
تسامح والمراد اختصاص الفرح بهما قوله او بفضل دل عليه قد جاءتكم اشارة الى ان صاحب الكشاف
تساهل في قوله ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فانه
يدل على كونها متعلقة بجاءتكم المذكور ولا وجه له لفصل بين الجار والمجرور بكلمة قل قوله
والفاء الاولى بمعنى الشرط يعني قوله تعالى فبذلك جواب شرط محذوف ويحتمل ان تكون الفاء فيه للدلالة على
ان ما ذكر قبله من مجيء الكتاب الجامع للاوصاف المذكورة سبب موجب لفرحهم وعلى التقديرين تكون الفاء
الثانية تكريرا للاولى لقصد التاكيد كما في قوله لا تجزعي ان منفسا اهلكته واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
فان الفاء الاولى فيه جزائية والثانية تاكيد لها وقرأ الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب
فلتفرحوا بتاء الخطاب وهي قراءة رسول الله على ما روي عنه مرفوعا والاصل في الامر سواء كان امر الغائب
او امر المخاطب ان يكون باللام فاصل اضرب لتضرب لكنهم حذفوا اللام في امر المخاطب لكثرة استعماله
كما حذفوا حرف المضارعة ايضا لذلك تخفيفا ثم ادخلوا همزة الوصل احترازا عن الابتداء بالساكن
وهذا معنى قول المص على الاصل المرفوض قوله وقرأ ابن عامر تجمعون بتاء الخطاب على انه خطاب للناس
الذين خوطبوا بقوله يا ايها الناس قد جاءتكم وهم كما تكلم خاطبهم ثم قال لهم فبذلك فليفرح المؤمنون وانه خير مما تجمعون
ايها الكفار والباقون بياء الغيبة على وفق فليفرحوا مسندا الى ضمير المؤمنين ويجمعون مسندا الى ضمير الكفار او كلاهما
قوله جعل الرزق منزلا من السماء مع ان الارزاق انما تخرج من الارض اما لانه مقدر في السماء كما قال
وفي السماء رزقكم وما توعدون او لانه لا يخرج من الارض الا على حسب ما قدر فيها فصار بذلك كانه منزل منها او لانه انما يخرج من الارض باسباب

Copyright © King Saud University